(عضو مجلس تنفيذي في رابطة الجامعات الاسلامية)

الى / رابطة الجامعات الاسلامية والاتحاد العربي للتنمية المستدامة والبيئة

م/ محو الأمية .. أسبابها ، أهدافها ، سبل مواجهتها.

اعداد

ا.م.د طالب زيدان الموسوي

عضو مجلس تنفيذي /رابطة الجامعات الاسلامية- العراق

إنَّ الأمية ظاهرة اجتماعية معقدة التركيب تمتد على وفق مدلولاتها ومحتواها وأشكالها امتداداً خطيراً فلم تكن الأمية في كل أبعادها مشكلة تعليمية أو تربوية فحسب بل هي في الاساس مشكلة حضارية ؛ لذا ينبغي تحرير مفهوم الأمية من إطاره الضيق المقصور على تعلم القراءة والكتابة والحساب بل عدّه أيضاً نشاطاً تعليمياً من الدرجة الدنيا ؛ ليستوعب الأبعاد الحضارية والاجتماعية المنبثقة عنها ؛ إذ يجب أن تكون القراءة والكتابة وسيلة لبلوغ غايات أهم ، ومن هنا ينبغي توظيف تلك المهارات المكتسبة في سباق التقدم لتحقيق المشاركة الإيجابية في بناء المجتمع الجديد والقيام بالمسؤوليات التي تقتضيها المواطنة الصالحة .

ولمَّا كان الإنسان هو هدف التنمية والتربية ومحورهما فإنَّ أميته بشقيها الأبجدي والحضاري تحُول دون بلوغ هذه الغاية ، إذ إنَّ العلاقة بين الأمية والتخلف علاقة جذرية تنعكس على عملية بناء الإنسان وتطويره وتؤثر على حركة المجتمع وعوامل تغييره ، ومن هنا لاتعود ظاهرة محو الأمية ظاهرة فردية تكمن في تلقي واستيعاب مهارات الكتابة والقراءة والحساب بالأساليب

التقليدية المتداولة ، وإنما تتعدى لتشمل كل مظاهر التنمية الشاملة للمجتمعات بجوانبها المادية والاجتماعية والتربوية .

أسباب الأمية :

للأمية أسباب منها خارجية وأخرى داخلية :

من الأسباب الخارجية هي :

القوى الكبرى التي حاولت السيطرة على خيرات البلدان الاخرى و بوجوهها المتعددة والتي من سياساتها تقوم بتعليم الآهلين من دون تثقيف ولم يبغوا تعليمهم إلا بما يخدم مشاريعهم التنموية ، فيستحصلوا عددا منهم للعمل في مشاريعهم لاستغلال الثروات المادية أو استعمالهم كجنود يضافون إلى جنودهم ما يجعلهم يعلمونهم فقط ما يخدم أغراضهم وأهدافهم لا للتنور والتثقف بينما بعض سياساتهم تدعو للتجهيل أو تثقيفهم بثقافتهم ؛ كي يجعلوا ولاءات أهل البلاد للبلد المستعمر كما حصل في الجزائر من قبل الفرنسيين الذين وضعوا اللغة الفرنسية محوراً لجميع الدروس .

- كذلك القيود التي تفرضها القوى الامبريالية على بعض البلدان للضغط عليها ولا سيما الحصار الجائر الذي فرض على العراق في التسعينيات من القرن الماضي ومطلع القرن الحالي ؛ مما سبب تفشي الفقر ، فضلا عن عدم اطلاع المؤسسات التعليمية على التطور العلمي والتكنلوجي العالمي .
- إضعاف اقتصاد البلدان المستهدفة سياسيا اذ جعلت اقتصادها ينهار وبوسائلها الاقتصادية الكثيرة ، كذلك الحروب التي اختلقتها في المنطقة ، مما جعل الإنسان يعيش

- القلق والفقر والعوز ، ومن ثم الحرمان فضلاً عن مآسي التهجير الذي دهم كثير من البلدان العربية ، ولا سيما العراق وسوريا واليمن .
- كما ظهرت دعوات مصدرها أوربي إلى إقامة مراكز تهدد اللغة الفصحى لتعمم اللهجة العامية على حسابها منها حفلات الغناء والتمثيل والسينما التي تمثل باللغة العامية على حساب الفصحى إذ يجلب للمسارح عدداً أكبر من النظارة ، وقالوا : إن كل هذه العوامل سيؤدي في آخر الأمر إلى انتصار العامية وتغلبها على الفصحى .
- أنَّ طغيان المركزية في إدارة شؤون التربية ، وتجميعها بيد السلطة المركزية في العاصمة في كثير من البلدان من حيث التمويل ووضع المناهج في ضوء سياسة الحكومة والتفتيش والامتحانات ونقل المعلمين يفوت على المحافظات الأخرى تغطية محافظاتهم في المدارس ؛ مما يفوت التوسع ومن ثم لاتفي بحاجة البلاد وتطلعاتها ، كما تخلق المناهج المؤدجلة فكراً محدداً يتبع سياسة الحكومة المؤدجلة لفكرة معينة أو هدف لايخدم تطلع إنساننا العربي حضارياً .
- أما في العصر الحاضر فالاضطرابات في بلداننا وخلق الفوضى وبث النعرات الطائفية والمذهبية التي غذتها القوى الإمبريالية ، هي واحدة من تجهيل المجتمعات كما يحصل في سوريا واليمن وليبيا والعراق وجعل شعوبها تنشغل بالخصومات المذهبية والعرقية من دون الانتماء إلى وحدتهم الاجتماعية والوحدوية التي تخلق الحقد والبغض والدهماء.

كذلك فقدان التوازن في الخدمات التعليمية التي تقدم للمواطنين على الرغم من تبني كثير من البلدان مبدأ ديمقراطية التربية وتكافوء الفرص في التعليم ولكنها ما تزال غير قادرة على تطبيقه تماماً ، فالخدمات التي تُقدَّم إلى مناطق المجتمع الريفي غير متكافئة مع الخدمات المُقدَّمة لمجتمع المدينة ، والخدمات التعليمية التي تقدَّم للجنسين

(الذكور والإناث) ماتزال غير متكافئة ولا تناسب دور المرأة في بناء المجتمع والنهوض به.

- فقدان التوازن في محتوى التعليم وأنواعه : الصفة الغالبة على التعليم هي الناحية النظرية والأكاديمية ، هو تعليم كتابي أو لفظي ، فالاهتمام ينصبّ على المعلومات والحقائق والمعارف ، أما الجوانب الأخرى مثل المهارات العملية وتنمية القيم الاجتماعية وتكوين الاتجاهات ، فأمور لاتحظى بالعناية الكافية ، فالخبرات الفنية والمهنية في التعليم العام ضئيلة ، أما التعليم المهني وهو التعليم الذي ينتج العمال المهرة والفنيين فما يزال محتاجاً إلى المزيد من الحكومة ، والتعليم الثانوي تعوزه الخدمات التوجيهية التي تبصر التلاميذ والطلبة بفرص العمل وترشد كل دارس إلى ما يناسب استعداده .

أما الأسباب الداخلية

- فالعادات القديمة والمتخلفة التي تتبعها بعض الأسر مثل حرمان الفتيات من حق التعلم ، وإخراجهن حين وصولهن إلى مرحلة معينة ، أو ظاهرة الزواج المبكر .
- الفقر هو أهم سبب يجعل الآباء يدفعون بأبنائهم للعمل من أجل توفير لقمة العيش لهم .
- كذلك القرى النائية التي ليس باستطاعة المواطنين الوصول إلى المدارس التي تبعد عنهم عشرات الكيلومترات مما يجعلهم متخلفين عن التعلم ولا سيما القرى التي تتسم بالفقر .
- تفشي البطالة في بعض البلدان الإسلامية ينتج عنها عدم التشجيع للدراسة لأن الكثير من الناس ينتظرون التوظيف حين إكمال دراساتهم مما يجعل الآباء يختصرون الطريق على أبنائهم بعدم دفعهم إلى المدارس .

أهدافها :

لم تكن الأمية إلا مرضاً ينخر المجتمعات ولا سيما المجتمعات التي تعيش تحت وطأة الفقر والظلام والجهل تلك التي تجعل من المجتمعات متخلفة لاتراعى فيها أدنى مضامين التنوير سواء أكان الصحي أو الاقتصادي أو الثقافي ، ما يجعلها تعيش في دهاليز ظلمات الجهل الذي يحمل الفكر الأسطوري والخرافي منفصلاً عن العالم المدني ، ومن ثم تخسر تلك الأقوام مقوماتها الإنسانية فضلاً عن ضياع أوطانها باستيلاء القوى العالمية على خيرات بلدانها بالاحتلال أو التبعية هذا على مستوى الشعوب كما حدث في أمريكا مع الهنود الحمر وقبلها البلدان العربية منذ سقوط بغداد إذ حلَّ تجهيل الشعوب ولاسيما العربية التي بسبب جهل شعوبها من بعد علم ووعي مما سمح للاستعمار سواء أكان العثماني أو الغربي اللذين أفاضا بتجهيل الناس ووضعهم تحت رق عبوديتهم وعبودية أتباعهم من الإقطاع ، فخلَّف لنا أميةً وجهلاً مدقِعاً .انتهى بتفشي الأمراض وتمزق المجتمع وشحة الرزق على الرغم من أنَّ بلدانهم تطفو على كنوز من الخيرات التي لايمكن أن تُستغل بسبب الجهل والتخلف .

ولعل القضاء على الجهل هو هدف الحكومات الوطنية التي تبحث عن تحقيق نمو بلدانها من خلال فتح مدارس ومعاهد لاتعد فقط مكانا يجتمع فيه الطلبة بل مكانا يتزودون به بطرائق الحياة المفيدة في المجتمع ومهاراتها المنتقاة ، وهي أمور لم يعد ممكناً أن يحصل عليها الفرد من غير طريق المدرسة ولعل أهداف التعليم للجماعة هو :

- من أجل تنشئة جيل واعٍ مؤمن بالله ، ومحب لوطنه ، آخذ بالتفكير العلمي ، متسلح بالعلم والخلق ، معتمد العمل والتعلم الذاتي ، مالك لإرادة النضال ، قادر على مواجهة التحديات المصيرية المتمثلة في الإمبريالية والصهيونية وأعداء الإسلام ، مستوعب معطيات التطور الحضاري ، منفتح على الفكر الإنساني في إطار من الأصالة والمعاصرة .

- يهدف إلى عدِّ الإنسان قيمة عليا وأنَّ التربية والتعليم عملية اجتماعية تتأثر بعوامل الزمان والمكان وأنها تتخذ من عقيدة المجتمع وحاجاته وإمكاناته المادية والبشرية المتاحة أُسُساً لها .

- تنوير المجتمع وعلى مختلف المستويات ومنها الاجتماعية والصحية والوطنية والعقدية .

- بناء مجتمع ينعم بالفضيلة والقيم الإنسانية من خلال تعليم وتوجيه أبناء الوطن بمناهج تهدف إلى الإصلاح الأخلاقي والتمسك بالقيم الإنسانية الكريمة.

- إنشاء قاعدة مثقفة ، كي تبنى الأوطان من خلال الوعي المعرفي والعلمي والثقافي.

- تعزيز دور التربية في ترسيخ التفاهم والتعاون والسلام على الصعيد الدولي واحترام حقوق الإنسان وحرياته الإنسانية .

سبل مواجهة الامية :

لابد من ذكر أنشطة البلدان العربية في مواجهة الأمية :

ومنها المؤتمرات التي نشدت محو الأمية وهي :

١-مؤتمر الإسكندرية الأول الذي انعقد لمحو الأمية في أكتوبر / تشرين الأول ١٩٦٤م وكان موضوعه تخطيط وتنظيم برامج محو الأمية في البلاد العربية .

٢-اجتماع ممثلي البلاد العربية والخبراء العرب لوضع أسس استراتيجية عربية موحدة لمحو الأمية في البلدان العربية عام ١٩٧٤م .

٣-مؤتمر بغداد في ديسمبر – كانون الأول عام ١٩٧٦م ، إذ اتفقت إرادة العرب على تبني استراتيجية عربية موحدة للقضاء على الأمية في سقف زمني لايتعدى خمسة عشر عاماً.

إنَّ من الأساسيات للقضاء على الأمية ما يلي :

آ- سد منابع الأمية بإلزامية التعليم الابتدائي وتعميمه .

ب- تحقيق التكامل بين التعليم المدرسي وغير المدرسي .

ج- الأخذ بالأسلوب العلمي في مواجهة المشكلة .

د- توظيف الحوافز المادية والاجتماعية والمعنوية في عملية المواجهة الشاملة ويعني هذا المبدأ تحديد الحوافز الإيجابية والسلبية المادية والاجتماعية والمعنوية المناسبة لدفع الأميين نحو التعليم .

هـ- ضرورة تحريك مؤسسات تعليم الكبار (التعليم اللانظامي) : إن تعليم الكبار بمفهومه الواسع المتكامل ومضامينه الحديثة ليس غريباً على حضارة الإسلام ، فالتراث العربي الإسلامي يزخر بالشواهد والحركات التربوية المختلفة التي تعكس الجذور التاريخية للتربية المستديمة للكبار في كل مراحل تطور الفكر العربي الإسلامي ابتداءً من مجالس العلم والعلماء في المساجد والأروقة إلى المدارس الفكرية والتربوية التي شهدتها الزيتونة والأزهر الشريف والمدرسة المستنصرية ، إذ كان وما يزال لكل من هذه المؤسسات الإسلامية الأصيلة فلسفتها الخاصة وتراثها الخالد وإبداعاتها المشرقة ومرتكزاتها العلمية المستمدة من تعاليم الدين الإسلامي الحنيف وأصالة الحضارة العربية .

وقد نرى كثير من المؤتمرات العالمية التي حققت إنجازات في محو الأمية إذ تم النظر فيها لتعليم الكبار بعد التحول الفكري والاقتصادي والثقافي التي اجتاحت دول العالم خاصة النامية منها ، فبرزت فكرة (تعليم الجماهير) في الأربعينيات من القرن الماضي إلى أن تطورت إلى (التربية الأساسية) ثم إلى (تنمية المجتمع) ثم إلى (التعليم الوظيفي للكبار) ثم إلى التعليم المستمر وأخيراً (التعليم المتواصل مدى الحياة) وقد جاءت هذه التحولات نتيجةً للتمازج الإنساني والاحتكاك الدولي الذي شهدته المؤتمرات الدولية لتعليم الكبار في (البسفور عام ١٩٤٩) و (مونتريال عام ١٩٦٠) و (طوكيو عام ١٩٧٠) و(نيروبي عام ١٩٧٦م) .

توصيات :

- إن الوسيلة في إنجاح أية مهمة نحو التعلم ينبغي أن تكون ملائمة للحصيلة أي أن تكون الوسيلة ملائمة للغاية ومؤدية إليها ولعل الوسائل تكيِّف الغايات كما أنَّ الغايات تعين على تحديد الوسائل فمن بين الوسائل التي لابد أن نستعملها في مجتمعاتنا ولاسيما الديمقراطية على غير ما هي عليه الدكتاتوريات الاستبدادية في المدارس والتي تخضع للنظام الاستبدادي على سبيل المثال في بعض الأنظمة في السابق ، إذ صدر اليوم دستور من الشعب يرسم معالم الطريق إلى مستقبل متحرر من الخوف متحرر من الحاجة ... متحرر من الذل .
- على مؤسسات وقطاعات الدولة أن تتكاتف من أجل محاربة الأمية وسن القوانين التي تحدّ من تسرُّب الطلاب من المدارس من أجل العمل وتحصيل المال لإجبار الطالب على إنهاء التعليم الأساسي بنجاح كفرض غرامات مالية على الأهل كي يدفعوا بأبنائهم نحو التعلم .
- نشر حملات التوعية التي تدعو إلى محاربة الأمية ، وتؤكد أهمية العلم وكيف يمكن له أن يؤمِّن مستقبلاً مُشرقاً وذلك في جميع وسائل الإعلام .
- إنشاء مراكز وجمعيات لمحو الأمية ويفضَّل أن تكون هذه المراكز بالقرب من سكن الذين يعانون من الأمية من دون الحاجة إلى المواصلات .
- تخفيض تكاليف التعليم للحد من نسبة الأمية في البلدان الفقيرة ، ومجانية التعليم في البلدان الغنية كما هي التجربة التي طبقت في العراق منذ السبعينيات من القرن الماضي .

- التعاون الدولي مادياً وذلك بتبرعات الدول الغنية للدول الفقيرة في إنشاء صندون مشترك لمكافحة الأمية .
- تُوجَّه سياسة التعليم في ضوء برامج تعليم يصدر من البلدان في ضوء معطياتها الإنسانية والدينية ، ما لايمكن أن تستعار من مجتمع آخر ، وإنما ينبغي أن ينبع من حاجاتها ومما ينتظمها من نظم سياسية واجتماعية واقتصادية وثقافية .
- ولعل الهدف هو تقوية انتماء الفرد لمجتمعه فحين يُنشَّأ في العراق مثلا لابد أن يصبح عراقياً لا أمريكيا ولا صينياً وليس الوراثات البيولوجية التي تحدد بين هذا المرء من الناس وذاك ولكنه التفاعل بين الفرد وبيئته الاجتماعية ، فالبيئة الاجتماعية هي العامل الذي يحدد ويكيف وكل فرد إنما هو نتاج الثقافة التي ينمو ويكبر فيها ... إنه نتاج لخبراته التي يكتسبها من نظام المدرسة ومناهجها التي تجعل منه مواطناً منتمياً إلى مجتمعه .

أ.م.د طالب زيدان الموسوي

رئيس مجلس ادارة كلية الكوت الجامعة

رئيس رابطة الجامعات والكليات الأهلية العراقية

نائب الامين العام لاتحاد الجامعات الإفروآسيوية

عضو مجلس تنفيذي / رابطة الجامعات الإسلامية

العراق – بغداد-٣/١٠/٢٠٢١